Journal Of the Iraqia University (75-2) January (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502

Journal Of the Iraqia University

available online at

https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

علاقة خاتمة الآية بمضمونها

م. م رؤى عادل مجيد

المديرية العامة للتربية في محافظة المثنى

ealaqat khatimat Alay at bimadmuniha

M . M Ruaa Adel Majeed

alijasoom2000@gmail.com

ملخص البحث

يتناول هذا البحث علاقة خاتمة الآية بمضمونها, ويوضح كيف تكون لنهاية الآية القرآنية انسجام مع موضوع الآية ومقاصدها, حيث ابرزت الدراسة ان الخاتمة تأتي لتوضيح المعنى او تأكيده مع توجيه القارئ الى هدف الآية. كما أظهر البحث جانب من الأعجاز في الآيات القرآنية الكريمة, حيث جاءت الخواتم متوافقة بدقة مع السياق العام للنص القرآني, تم تحليل نماذج متنوعة من الآيات للكشف عن التناسق الدلالي والبلاغي. واخيراً اكد البحث ان فهم الخاتمة يساعد على ادراك المعنى القرآني.كلمات مفتاحية خاتمة, علاقة, خاتمة الآية, المضمون, الآية.

Abstract

This research explores the relationship between the ending of a Quranic verse and its overall meaning. It clarifies how the conclusion of the verse aligns harmoniously with its subject and intended message. The study highlights that the verse ending serves to clarify or emphasize the meaning while guiding the reader toward the verse's purpose. The research also reveals an aspect of the miraculous nature of the Holy Quran, as the endings are precisely aligned with the general context of the Quranic text. Various examples of verses were analyzed to uncover semantic and rhetorical coherence. Finally, the research confirms that understanding the verse ending enhances comprehension of the Quranic meaning.

Keywords: conclusion, relationship, verse ending, content, verse

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم هادياً للعـالمين، فجعله كتاباً معجزاً في لفظه ومعناه، لا يتطرق إليه التناقض، ولا يعتريه النقص، بل يزداد إعجازاً مع تعاقب الأزمان. وقد تميـز هذا الكتاب العظيم بجمال بيانه، ودقة أساليبه، وسعة معانيه، مما جعله مادة غنية لا ينضب معينها للدارسين والباحثين.ومن أبرز وجوه هذا الإعجاز البلاغي ذلك التناسق البديع بين مكونات الآية، لا سيّما الخاتمة، التي تأتي دائماً متوافقة مع مضمونها، مؤكدةً للمعنى، أو مفسرة له، أو داعمة للغرض العام للسياق. وليس هذا التناسب محض تكرار موسيقي أو زخرفة لغوية، بل هو عنصر دلالي عميق، يحمل في طياته أبعاداً بيانية وتعبيرية تعـجز عنها أفصح ألسنة البشر.في هذا البحث، نتناول بالدراسة والتحليل العلاقة بين خاتمة الآية ومضمونها، من خلال تتبع أمثلة قرآنية تكشف عن هذا التلازم البياني، وبيان أثره في توجيه المعنى وتقوية الدلالة، وذلك ضمن إطار علم المناسبة في القرآن الكريم.فإن القران الكريم كان ومازال معجزه الرسول (ص) الأولى التي لا تنقضي , ومن مصاديق هذا الاعجاز انه مازال مادة الدراسة الأولى بين نصوص اللغة العربية، اذ لا زال المجـتهدون يحاولون ان يغوصوا في اعماقه ليكشفوا دلالاته .**ومن هذه الدلالات علاقة خاتمة الآية بمضمونها** .يوجد بين جملة الخاتمة ومضمونها في الآيات تلاؤماً شديداً ، اذ ان معنى جملة الخاتمة تعكس مضمون الآية بشكل واضح دون تعارض أو غموض مع الفكرة الرئيسية للآية, لتنسجم مع معنى ومقصد الآية العام , كل كلمة وضعت في مكانها الصحيح في خاتمة الآية .من البدهي ان تحمل جملة الخاتمة دعوة الى التأمل لدى الانسان العاقل , لان آيات القران الكريم حوت مشاهد عظيمة ومظاهر بديعة . فما كان من الانسان الا ان يفكـر ليدرك هذه المشاهد العظيمة .

التمهيد

المناسبة لغة واصطلاحاً :واحدة من ابواب علوم القران التي صرح بها جملة من المفسـرين والباحثين في التـــعبير القرآني هو علم المناسبات والذي يندرج تحت الاعجاز البياني في القران الكريم.

أولًا: المعنى اللغوي للمناسبة المناسبة في اللغة مأخوذة من الجذر الثلاثي (ن– س– ب)، وتدل على الاتصال والارتباط والمقاربة, جاء في الصحاح ((: وفلان يناسب فلاناً, فهو نسيبه; أي قريبه, وبينهما مناسبة ; أي : مشاكلة))مختار الصحاح, ص٥٢٠ .

ثانيا: المعنى الاصطلاحي وفـي الاصطلاح, عرفها الزركشي في البرهان بأنها: ((علم شريف, تحرز به العقول, ويعرف به قدر القائل فيما يقول)). البرهان في علوم القرآن,٣٥/١.اما القطان فقد وسع هذا التعريف بقوله : يقصد بها الكشف بين أوجه الترابط الدلالي والبنيوي بين الجملة والأخرى داخل الآية الواحدة , أو بين الآيات المتعددة, بين السور, مما يعكس تماسك النص القرآني ووحدته. مباحث في علوم القرآن, ص٩٧.مما سبق يعد تعريف القطان تعريفاً جامع, حيث بين وكذلك فيه وجه الارتباط بين الجمل في الآية الواحدة ، وبين كل اية و أخرى, ثم انتهى الى المناسبة بين السور.وقد أشار محمد بازمول في حديثه عن وجود علاقـة تلازم بين آيات كل سورة , و الآية نفسها, وذلك في حديثه عن المناسبة في القرآن فيذكرها قائلاً: ((هو معرفة مجموع الأصول الكلية والمسائل المتعلقة بعلل وترتيب أجزاء القران العظيم بعضها ببعض)) علم المناسبات في السور والآيات, ص٢٧.يؤكد النص السابق على أهمية ترابط أجزاء الكلام لتحسين جودة التأليف وتعزيز قوة المعنى.وينقل عن ابن معصوم أن خواتيم السور كفواتحها واردة على احسن وجوه البلاغة ، واكملها مما يناسب الاختتام, كتلخيص جملة المطلوب , ثم تفصيلها بأوجز بيان في خاتمة السورة وهكذا ختمت السور, التمهيد في علوم القرآن, ٢٣٩/٥.و يصرح أحد الباحثين جملة الخاتمة في الآيات الكونية والإنسانية (رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين)، ص ٥٥. عن علاقة الخاتمة ومناسبتها لمضمون الآية , كون ذلك يسهم في زيادة الاطمئنان عند القارئ المتلقي, فيقول : جملة الخاتمة في الآيات الكونية والإنسانية تأتي منسجمة مع السياق العام للآية, حيث تتجلى في تلك الجمل دقة الترابط بين محتوى الآية والخاتمة .فالقران الكريم بحر غائر ليس له قرار معـجز في كل اية من آياته وفي كل سورة من سوره , قد نلمس هذا اذ تدبرنا التناسب فيه.وقد أولى المفسرين اهتماماً ببيان المناسبة بين الجمل او بين الآيات او بين السور واستخرجوا وجوهاً من الارتباط, فقد تأتي الجملة على سبيل الاعتراض, أو موضحة ومفسرة للمعنى, او تأكيدا للجملة التي قبلها, مما يثري النص ويزيده وضوحاً.**نماذج تطبيقية تؤثر على ارتباط الخاتمة بمضمون الآية:**إن العلاقة بين خاتمة الآية ومضمونها من أبرز وجوه البلاغة القرآنية التي تلفت انتباه المتدبر، وقد عُني المفسرون بإظهار أوجه هذا التناسب الدقيق الذي يجمع بين اللفظ والمعنى في وحدة متكاملة. فالخـاتمة ليست مجرد نهاية لفظية للآية، وإنما هي عنصر دلالي يؤدي وظيفة بلاغية متكاملة، تؤكد المعنى أو تشرحه أو تنقله إلى مستوى أعمق.وقد ذهب الدكتور عبد الفتاح إلى أن الفاصلة القرآنية (الخاتمة) لم توضع لغرض موسيقي فحسب، بل إنها تراعي المعنى والمقام معاً، حيث قال: (كما أن من مزايا السجع في القرآن الكريم شدة ارتباط الفاصلة بما قبلها من الكلام بحيث تنحدر على الأسماع انحدارا، وكأن ما سبقها لم يكن إلا تمهيدا لها، وبحيث لو حذفت لاختل معنى الكلام، ولو سكت عنها لاستطاع السامع أن يختمه بها انسياقا مع الطبع، والذوق السليم)) البديع في ضوء أساليب القران, ص١٤٧.والفاصلة أو الخاتمة تمتلك قيمة صوتية لها دوراً ووظيفة دلالية, ومراعاتها تؤدي الى تقديم عنصراً أو تأخيره بالإضافة الى خدمة المعنى الذي تحمله الآية, وهذا هو الاعجاز القرآني' من الإعجاز البياني في القرآن الكريم, في أعمال المؤتمر العلمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، **(ص ٦٢)**., مثل قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥], جاء في تفسير ابن كثير في تقديم العبادة على الاستعانة في الآية المتقدمة: العبادة في اللغة من الذلة ، يقال : طريق معبد، وبعير مُعَبّد، أى مذلل، وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف. وقدم المفعول وهو إياك ، وكرر؛ للاهتمام والحصر ، أي : لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، وهذا هو كمال الطاعة. والدين يرجع كله إلى هذين المعنيين، الفاتحة سر القرآن، وسرها هذه الكلمة : إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين, فالأول تبرؤ من الشرك، والثاني تبرؤ من الحول والقوة، والتفويض , وانما قدم اياك نعبد على اياك نستعين لان العبادة هي المقصودة , والاستعانة وسيلة إليها, والاهتمام والحزن هو ان يقدم ما هو الأهم فالأهم ' اسماعيل بن عمر بن كثير,١ / ١٣٤–١٣٥ .واضح أنه لم يرجع الترتيب والخاتمة لمحض الفاصلة وإنما لارتباطه بالمعنى ارتباطاً وثيقاً، لا يمكن العدول عنه وإلا ذهب الغرض الذي سيق من أجله.ومن الفاصلة قوله تعالى :﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر:٧٨] , وقوله تعالى:﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر:٨٥].و((هنالك) اسم إشارة الى مكان ، استعير للإشارة الى الزمان ، أي خسروا وقت رؤيتهم بأسنا إذ انقضت حياتهم وسلطانهم وصاروا الى ترقب عذاب خالد مستقبل والعدول عن ضمير « الذين كانوا من قبلهم كانوا أشد منهم قوة » الى الاسم

الظاهر وهو « الكافرون » إيماء إلى أن سبب خسرانهم هو الكفر بالله وذلك إعذار للمشركين من قريش)) التحرير والتنوير, ٢٢٤/٢٤.قوله ((فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون ، أي فإذا جاء أمر الله بالعذاب قضي بالحق فأظهر الحق وأزهق الباطل وخسر عند ذلك المتمسكون بالباطل في دنياهم بالهلاك وفي آخرتهم بالعذاب الدائم)) الميزان في تفسير القران, ٣٤٩/١٧.حيث جاءت خاتمة كل آية ملائمة مع السياق الخاص بها. فختمت الآية الأولى بـــ(المبطلون) انسجاماً مع ما سبقها من حديث عن الباطل والحق, اما الآية الثانية فجاءت في سياق الايمان والكفر فختمت بـــ(الكافرون), وهنا يظهر الأعجاز في اختيار الفواصل, مراعياً المعنى والمقام معاً, اذ لم يكن الاختيار عشوائياً.قال تعالى في الآية الأولى :﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر:٧٨] , وقال في الآية الثانية :﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ [غافر:٨٥] التعبير القرآني, ص٢٢٤.فرغم التشابه الظاهري بين الآيتين، فقد استخدمت كلمة "المبطلون" في الأولى لأن السياق يتحدث عن الحق، بينما استخدمت "الكافرون" في الثانية لأن السياق يتناول الإيمان. هذا الاختيار ليس اعتباطيًا، بل هو مبني على تناغم دقيق بين السياق والمعنى. مراعاة الظرف الزماني أو النفسي في الخاتمة.و نلحظ أيضاً أن اختيار الكلمات في نهاية الآية يراعي الظرف الزمني أو النفسي للحدث, قال تعالى:﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هدى﴾ [طه:٧٨-٧٩]. وفي قوله : (وأضل فرعون قومه وما هدى) تكذيب لقول فرعون لقومه فيما خاطبهم : وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ، المؤمن ، وعلى هذا فقوله : وما هدى ، ليس تأكيداً وتكراراً لمعنى قوله : (وأضل فرعون قومه) 'الميزان في تفسير القران ١٦/ ٤١٦.ذهب بعض النحاة الى أن تعبير (ما هدى) كان ملائم للفاصلة, لكن من الممكن أستخدام (ماهداهم), لكن هذا لم يقع, لكون الترتيب الأول أعمق بلاغياً.وهذا ما أكده أهل البلاغة يذكر الزركشي ان التعبير بـــــ(ماهداهم) يفهم منه نفي الهداية عن قومه خاصة, دون ان ينفي احتمال هدايته لغيرهم' البرهان في علوم القران, ١/ ٢٣٧نلحظ في الآية السابقة الدقة في اختيار الألفاظ, حيث جاءت متناسقة مع السياق الزماني للحدث, وهو مشهد الغرق.ومن الأمثلة على بدائع الفاصلة قوله تعالى:﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يضرون ﴾ (الشعراء) , للتماشي مع فواصل الآي ,ذكر مفعول (النفع) دون (الضرر), الا ان الحذف جاء لدلالة اكثر عمقاً, فالنفع جاء مخصصاً :(ينفعونكم), لان الأنسان دائما يتطلع الى جلب النفع لذاته , بينما الضرر مطلق , والسبب يرجع الى : الضرر لا يطلب للذات, بل يراد للعدو. ولأن الأنسان يخشى من يملك القدرة على الاضرار به مطلقاً. فالحذف كان ابلغ , لما فيه من تعميم المعنى, الى جانب مراعاة الفاصلة القرآنية' التعبير القرآني , ص٢١٨-٢١٩.ومن الأمثلة على التناسب المعنوي لخاتمة الآية مع معناها منها مخاطبة الاسماع. قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (القصص: ٧٢) يذكر الزركشي: ((اقتضت البلاغة أن يقول (أفلا تسمعون), لمناسبة ما بين السماع والظرف الليلي الذي يصلح للاستماع و لا يصلح للأبصار)) البرهان في علوم القران, ١/ ٨٢. جاء الخطاب في خاتمة الآية موجه الى البصر, إذ أن الرؤية في النهار تكون أظهر و أوضح, في حين حاسة السمع بسبب الضوضاء والحركة تضعف, لذا كان توجيه الخطاب الى المبصرين متسقاً مع المعنى الذي جاء به مضمون الآية في بدايتها.ومن الأمثلة الأخرى على التناسب قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الجاثية:٤], وجه الله عز وجل الخطاب في الآية الأولى للمؤمنين, لأن خلق السماوات والأرض أحد أعظم الدلائل على القدرة الإلهية التي تحتاج الى تفكر وتأمل عميق. فالتأمل يقود الى الأيمان لذلك كان الخطاب موجهاً الى المؤمنين, اما الخطاب الموجه للموقنين فكان في الآية الثانية, وهذا يتناسب مع المعنى العام للآية, فاليقين مرتبة اعلى تتطلب ادراك أعمق للوجود.الزركشي يرى في قوله: ((في الآية الثانية (لقوم يوقنون), فان سر الأنسان وتدبر خلقة الحيوان أقرب اليه من الأول, وتفكره في ذلك مما يزيده يقيناً)) البرهان في علوم القران ٨٣/١.و من أوجه الأعجاز البلاغي في القران الكريم, ان الله سبحانه وتعالى يختار أسماؤه في خاتمة الآية تتناسب مع مضمون الآية تماما, فليست الأسماء مختارة عشوائيا بل وفق مقصد دلالي يخدم الرسالة التي تحملها الآية.وقوله أيضاً: ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحج:٦٤], المعنى العام للآية: كل ما في الكون تحت امره سبحانه وتعالى, وهو الغني عن كل شيء, لأنه كامل لذاته, بعد خلقه للحيوان, اقتضت حكمته وجود النبات والقطر, فإنشا النعم رحمة واحسانا بها, لا لحاجة منه الى ذلك ' مفاتيح الغيب, ٢٣/ ٦٣.لكون الله غنياً عن كل شيء, فما يفعله بدافع الإحسان لا عن حاجة للبشر, وهذا الإحسان أعظم ما يستحق عليه الحمد, فختمت الآية بـ (ان الله لهو الغني الحميد), فمن

كان كذلك أستحق الحمد على إنعامهِ.ففي قوله تعالى: ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ , نجد تناسب ذكر الاسمين (الغني الحميد), أي تناسب فمن يملك ما في السماوات والارض (غني) ولما كان ما في السماوات والأرض مخلوقاً للعباد ومنفعتهم لذا كان الخالق (حميداً) مستحقاً للحمد.فجاء ختم الآية باسمي (الغني الحميد) لما يتناسب مع ما ورد في صدرها من ملك الله المطلق للسماوات والأرض, وانه مستحق للحمد بذاته لا لحاجه منه اليهم, وللتأكيد على أنه غني عن خلقه.ومن الأمثلة الأخرى قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ ۚ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر:٥٦].قال ابن القيم: (فلو لم تكن اسماؤه مشتملة على معانٍ وصفات لم يسغ ان يخبر عنه بأفعالها, فلا يقال: يسمع ويرى...) بدائع الفوائد, ٧٧/١, رد على من يفصل بين الاسم والصفة او ينكر الصفات, فلا يمكن ان نثبت فعلاً مثل(يرى) أو (يسمع) الا اذا اثبتنا صفة السمع والرؤية لله, لان حكم الصفة فرع عن وجودها.فأسماء الله تتضمن معانٍ وصفات, ولا يمكن اثبات الافعال (كالسمع والرؤية..) الا اذا ثبت أصل الصفة.الكبر الذي في صدورهم هو الذي يدفعهم الى الجدال الباطل , فاعترافهم بنبوتك وامتثالهم لأمرك , يستلزم خضوعهم لك, اذ النبوة تعلو على كل سلطان, هم لا يقبلون أن يكونوا تحت طاعتك وخدمتك لذلك اندفعوا الى مجادلات معك, ثم قال تعالى: (ما هم ببالغيه) أي مصيرهم فاشل رغم كل المحاولات, ولذلك وجه النبي بقوله: (فأستعذ بالله) أي التجئ اليه . ينظر: الرازي , مفاتيح الغيب٨٠/٢٧–٨١. ختمت الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿ فأستعذ بالله انه هو السميع البصير﴾, جاء هذا الختم عقب تأكيد الله عز وجل للرسول (صلى الله عليه واله وسلم) أن من يجادلونه فيما أنزل اليه انما يفعلون ذلك بسبب الكبر والكيد الذي يحملونه, لذا أمر الله سبحانه وتعالى الرسول (ص) ان يستعيذ به, أي ان يتخذ من الله ملاذاً ومعاذاً, ولا يبالي لخططهم ودسائسهم, وقد جاءت جملة (انه هو السميع البصير) تعليل للأمر بالدوام على الاستعاذة, أي لأنه المطلع على أقوالهم و أعمالهم وانت لا تحيط علماً بتصاريف مكرهم وكيدهم, فكان اللجوء الى الله الحصن الرباني من كيد هؤلاء البشر. التحرير والتنوير, ٢٤، ١٧٤–١٧٥, الميزان في تفسير القران, ١٧/ ٣٩٦, الكشاف,٥٤٥/٤. .و قال تعالى : ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الاعراف:٢٠٠]نزغ الشيطان يقصد به الوساوس التي تثير النفس البشرية نحو الغضب وتدفعها نحو المعاصي, والله يأمر رسوله (صلى الله عليه واله وسلم) بالأعراض عن هؤلاء السفهاء الذين يثيرون الجدل ويفقدون النفس البشرية الهدوء مع تدفع الأنسان الى فعل ما لا يليق, فجاء التوجيه الإلهي بالعلاج المناسب قال سبحانه وتعالى: (فأستعذ بالله) و جملة (انه سميع عليم) وردت في الآية لتعليل الامر بالاستعاذة بالله من الشيطان, وهي واقعة موقع العلة بسبب وجود الحرف (إن), اذ ان النبي (صلى الله عليه واله وسلم) لا يتردد في أمر الله ولا في سمعه, لأن صفتي السمع والعلم صفتين الهيتين تقتضيان إجابه الدعاء. ووصف (السميع) يدل على انه سامع لدعائك, مستجيب لك, ثم اتبع وصف السميع بـ (العليم) ليدل على ان علم الله شامل لكل حال من الاحوال, فهو يعلم نوايا الشيطان وما يضمر من كيد, فجميع ما سبق من صفات تشير الى عناية الله عز وجل برسوله. وأن أمره بالاستعاذة وقوف عند الادب والشكر واظهار الحاجة الى الله تعالى. التحرير والتنوير, ٤/ ٥٢٢–٥٢٣.ومن الأمثلة على التناسب ايضا قوله تعالى ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الاعراف:٢٠٠], وقال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۙ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ ۚ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر:٥٦].ففي أيه الاعراف قرن (عليم) مع (سميع) بينما قرن في آية غافر (البصير) مع (السميع).إذ ان آية الاعراف في الاستعاذه من الشيطان ولمّا كانت افعال الشيطان وساوسٌ في القلب فان ما يتعلق بها هو العلم لذا قال (سميع عليم) , أما اية غافر فالاستعاذه فيها من شر الإنس ولما كانت افعالهم مبصرة ومعاينة بالبصر ناسب أن يختم الآية ب(السميع البصير).قال تعالى ايضا:﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩]الآية الكريمة فيها تكرار للنداء مرة أخرى, لأن طلب أرسال رسول من ذرية أبراهيم و أسماعيل هو غرض جديد ينطوي على دعاء وهو الأرسال الذي كان تشريفاً لهم, وقد جاء التعبير بـ(منهم) بدلاً من (لهم) للدلالة على ان الرسالة المطلوبة لا تقتصر عليهم, بل لعامة الناس. فجاء لفظ (رسولاً) غير مقيد ليشمل العموم.بعد قوله: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ أحد الجمل الاعتراضية في الدعوات المتتابعة, وهي دعوة الرسول محمد (ص) المقصودة , اذ هو الرسول الوحيد الذي يجمع في نسبه بين أسماعيل وإبراهيم (عليهما السلام), فشعيب من ذرية ابراهيم دون اسماعيل, في حين هود وصالح من العرب, وليس لهم نسب الى ذرية ابراهيم ولا أسماعيل. التحرير والتنوير, ١/ ٥٢٢–٧٢٣.الآية: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ , ختمت بقوله : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾, أشارة الى ان أرسال الرسول يتضمن رحمة عظيمة من الله, كما يتجلى فيها حكمته وكمال عزته. فليس من الحكمة ترك الناس وإهمالهم دون توجيه, بل من تمام حكمته ان يبعث فيهم رسول,

فكل ما يجري في هذا الكون انما يقوم على أساس حكمة الله وعزته الغالبة، ينظر, القواعد الحسان, ص ٥٥.أن ختم الآية باسم من اسماء الله يدل على المغزى الموجود داخل النص القرآني, ليبرز الحكم الذي تتضمنه الآية القرآنية، وما ذلك إلا لدلالة هذه الأسماء الحسان على معـان عظيمة. فأسماء الله لها دلالات ومعاني, سواء كانت مفردة مثل (الحليم) أو مجتمعة مثل (الغفور الرحيم), فهذا الاقتـــران بين هذه الأسماء والصـــفات يتناسب مع مضمون الآية.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث، تبيّن لنا أن خاتمة الآية القرآنية ليست جزءًا منفصلًا عن مضمونها، بل هي امتداد بلاغي ومعنوي للمعنى الكلي للآية. فقد جاءت كل خاتمة لتؤدي وظيفة دقيقة: إما أن تؤكد، أو تعلّل، أو تبشّر، أو تـحذّر، وكل ذلك بأســلوب إعجازي فريد يعكس تمام الحـكمة الإلهية في ترتيب الألفاظ والغـايات.وقد رأينا من خلال الأمثلة المدروسة كيف أن الخاتمـة تسهم في توجيه القارئ إلى الغـاية المرجوة من الآية، وتُعين على تدبرها فهماً ووجداناً.وهذا التناسق العجيب بين المضـمون والخاتمة يُعدّ من دلائل إعجـاز القرآن الكريم وبلاغتـه، مما يحثّنا على مزيد من التأمل في آياته، واكتشاف كنـوزه المعنـوية.إن التدبر في خاتمـات الآيات يظـهر أن القرآن الكريم ليس مجرد ألفـاظ منمقة، بل هو كتـاب إلهي متكامل، كل كلمة فيه موضوعة بحكمة، تغذي الفهم، و تخدم المعنى وترسّـخ العقيدة.

المصادر والمراجع

[1] مختار الصحاح, محمد عبد القادر الرازي, دار الحداثة , لبنان, الطبعة الثانية, ١٩٨٣, ص٥٢٠

[٢] – الزركشي، محمد بن عبد الله , البرهان, (جـ١، ص ٣٤) , تحق: محمد أبو الفضل, بيروت , دار المعرفة.

[٣] – ينظر: القطان، مناع خليل, مباحث في علوم القرآن (ص ٩٦). مكتبة وهبة, بيروت, الطبعة التاسعة.

[٤] – السيوطي, جلال الدين عبد الرحمن,(٢٠٠٢) علم المناسبات في السور والآيات, ص ٢٧, تحق: محمد بن عمر سالم بازمول, المكتبة المكية

[٥] – محمد هادي, (٢٠٠٩), التمهيد في علوم القرآن ,(جـ٥، ص ٢٣٩), دار التمهيد .

[٦] – ينظر: محمد نور هاني, (٢٠٠٩), جملة الخاتمة في الآيات الكونية والإنسانية (رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية)، ص ٥٥.

[٧] – لاشين, عبد الفتاح,(١٩٩٩م), البديع في ضوء أساليب القران, (ص١٤٧), دار الفكر العربي, القاهرة.

[٨] – ينظر: داوود محمد محمد , من الإعجاز البياني في القرآن الكريم, **(ص ٦٢)**.

٩– القرشي, اسماعيل بن عمر بن كثير, (ج١ , ص١٣٤–١٣٥), تحقيق: سامي بن محمد السلامة, دار الكتب العلمية, بيروت – لبنان.

١٠ – الطباطبائي , محمد حسين , الميزان في تفسير القرآن, (ج١٧, ص ٣٤٩) , شبكة الفكر , قم المقدسة.

١١ – المصدر السابق (ج١٧, ص ٣٥٧) .

١٢ – ينظر: السامرائي، فاضل صالح, التعبير القرآني. ص ٢٢٤.

١٣– الرازي, فخر الدين ضياء, التفسير الكبير ومفاتيح الغيب, (ج٢٢. ص ٩٣), الطبعة الأولى, ١٩٨١م, دار الفكر.

١٤– الزركشي, بدر الدين محمد بن عبد الله, البرهان في علوم القران, تحق: ابو الفضل محمد ابراهيم, (ج١, ص ٢٣٧),القاهرة, دار المعرفة

١٥ – السامرائي، فاضل صالح, التعبير القرآني, ص ٢١٨–٢١٩.

١٦ – الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله, البرهان في علوم القرآن, (جـ ١، ص ٨٢)

١٧– المصدر نفسه (ج١, ص٨٣).

١٨– الرازي , مفاتيح الغيب, ج ٢٣, ص ٦٣.

١٩ – ابن القيم، محمد بن أبي بكر, بدائع الفوائد, (ج١, ص٧٧) .

٢٠ – الرازي، فخر الدين, مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). (جـ ٢٧، ص ٨٠–٨١).

٢١ – ينظر: ابن عاشور, التحرير والتنوير, (جـ ٢٤، ١٧٤–١٧٥), الطباطبائي, الميزان في تفسير القران, (ج١٧, ص٣٩٦), , (ج٤/٥٤٥) .

٢٢ – الرازي، فخر الدين , مفاتيح الغيب (التفسير الكبير), (جـ ٢٧، ص ٨٠–٨١).

٢٣ – ابن عاشور، محمد الطاهر, التحرير والتنوير, (جـ ٤، ص ٥٢٢–٥٢٣).

٢٤– ينظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر, القواعد الحسان, ص ٥٥.